القديس استفانوس وقبره المجهول

اطلب منك، أيها القديس استفانوس، أن تتكرم بالإجابة على سؤالي: "لماذا كنت تصلي من اجل نفسك وقوفاً، ولكن صلاتك من أجل أعدائك كانت وأنت جاث على ركبتيك؟" (Caesarius of Arles)

*صلاح حسين الهودلية**

ملخص

كان القديس استفانوس بجذوره الأثنية من اليهود الهلنستيين الذين هاجروا من مناطق مختلفة إلى فلسطين للعيش فيها. وقد لعب دوراً مهماً في المجتمع المسيحي منذ نشأته واهتم بفقراء الهلنستيين بحكم أنه كان أحد الشمامسة السبعة. عاش القديس استفانوس في القدس واستشهد خارج أسوارها رجماً بالحجارة، ويعتبر أول شهيد في الديانة المسيحية. تُوفر أعمال الرسل معلومات قليلة عن القديس استفانوس، ولكنها تنحصر في فترة شبابه، ومحاكمته، ودفاعه عن نفسه أمام مجمع السنهدرين، واستشهاده، ولا توجد لدينا مصادر أولية أخرى موثوقة تساعدنا في تتبع شخصيته منذ ولادته إلى وفاته. تهدف هذه الدراسة إلى عرض مختصر عن حياة واستشهاد القديس استفانوس، وإلى تقديم مقترح جديد لمكان دفنه بناء على نتائج التنقيبات الأثرية في موقعين يحملان نفس الاسم "كفر غملا"، وهما: بيت جمال، وخربة الطيرة. وقد اعتمدت الدراسة على مراجعة الأدبيات المنشورة ذات العلاقة بالقديس استفانوس، وعلى تفسير نتائج التنقيبات الأثريّة في خربة الطيرة.

الكلمات الدالة: القديس استفانوس، كفر غملا، خربّة الطيرة، بيت جمال.

السيرة الذاتية للقديس استفانوس

تعتبر أعمال الرسل بمثابة المصدر الأولي والرئيس عن حياة ووفاة القديس استفانوس، وخصوصا الإصحاح السادس. ولكن، لم يتم ايلاء ولادته، وطفولته، وشخصيته أهمية كبيرة، بل جاء التركيز على فترة شبابه ومحاكمته أمام مجمع السنهدرين (اليهودي)، وعلى كونه رئيس الشمامسة السبعة. وقد وصف بأنه "هادئ الملامح، مضيئ الوجه بلا خوف ولا كبرياء كأنه ملاك"، وأنه "رجلاً مملوءاً من الايمان والروح القدس"، وكان "يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب" (أعمال الرسل، الاصحاح السادس، ع5، ع8، ع15، والاصحاح الثاني والعشرون ع19–20). وبالتالي فاننا نقف أمام شخصية مميزة في تاريخ المسيحية الاولى في فلسطين، ولكن معرفتنا بسيرته الذاتية قليلة جداً، حيث لم توفر لنا أعمال الرسل وغيرها من المصادر المعلومات الكافية التي تساعدنا على تتبع شخصيته منذ ولادته وحتى استشهاده ودفنه، ولا عن عائلته. وهذا الامر أدى إلى وجود اجتهادات كثيرة حول شخصيته، وكثير منها متناقضة، وخصوصا مكان دفنه. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الأدبيات المسيحية من القرون الثلاثة الأولى للميلاد نادراً ما ذكرت القديس استفانوس لسبب غير معروف لنا. ولكن الوضع تغير مع بداية القرن الخامس الميلادي، حيث بدأت الكتابات تظهر القديس استفانوس بأنه شخص مُهاب بسبب معرفته العميقة بأمور الدين، وبنشاطه المميز في الاعتناء بالفقراء،

* المعهد العالي للآثار، جامعة القدس، فلسطين. تاريخ استلام البحث 2019/7/7، تاريخ قبول النشر 2019/12/2.

© 2019م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

وأنه كان صديقاً حميما لغملائيل[1]، وأن عجائب جمّة حدثت بسبب رفاته (Boven 2003: 287-292).

واسم استفانوس هو اسم يوناني يعني "التاج"، أو "إكليل من الزهور" (الأنبا شنودة الثالث 2007: 11؛ Hoeck 2016: 8). وورد اسم استفانوس في الكتابات الإغريقية باسم Stephanos، وفي الكتابات اللاتينية باسم Stephanus، وفي الكتابات الإنجليزية باسم Stephen, Steven أو Steve (Jassem 2014: 216; Morrow 2007: 40-4; de Voragine 1941: 45). ويظهر لنا من خلال خرافة بأن والدي استفانوس كانا يسكنان في Cana الواقعة في الجليل، ولم يكن لهما ولد، فتضرعا إلى الرب بان يرزقهما من الذرية، فسمع دعاءهما فأنجبت الأم، واسمها Perpetua، طفلا وأرشدها ملاك إلى أن تسميه استفانوس. وفي خضم الاحتفال بالمولود الجديد، يتدخل الشيطان ويسرق الطفل ويضع مكانه شيطاناً صغيراً، ويذهب بالطفل استفانوس بعيدا إلى مملكة طروادة، وعهده إلى ظبية حنّت عليه بحليبها، وقام جوليانوس، وهو كاهن المكان، برعاية الطفل وأطلق عليه اسم ناثانايل (Nathanael) وأحسن تربيته وتعليمه. لاحقا، جاء الغلام ناثانايل أمرا عن طريق ملاك بأن يعود الى أبويه في الجليل. وكانت المسيرة بحرية وبرية برعاية وقيادة الملاك، وما أن وصل بيت العائلة حتى عرفه أبواه وطرد الشيطان الصغير الذي استبدل به. تالياً، أصبح تلميذا عند غملائيل، وأضحى على يديه مسيحيا (Bovon 2003: 303-304). وسوى هذه الخرافة عن مولد القديس استفانوس، والتي يصعب الأخذ بها، لا يوجد لدينا تفاصيل عن عائلته ومكان مولده.

كانت فلسطين في القرن الأول الميلادي خاضعة للاحتلال الروماني، وكان سكانها من الكنعانيين (وهم سكانها الأصليون)، وقبائل عربية أخرى، ومن اليونانيين، والمقدونيين، والرومان، والعبرانيين (الأحمد 1979: 324–345). عاش القديس استفانوس (في القرن الأول الميلادي) في مجتمع مسيحي مكون من فرقتين اجتماعيتين رئيستين، هما: العبرانيين والهلنستيين. وقد تكلم العبرانيون اللغة العبرية أو الآرامية، وتكلم الهلنستيون اللغة اليونانية. وقد كانت كل فرقة تمتاز بمنظومة عادات وتقاليد وسلوك وبوتقة ثقافية خاصة (الأورشليمي 2011:102؛ Hoeck 2016: 8; Trebilco 2011). وقد أفرزت البيئة المعاشة آنذاك تفوقاً مدنياً لصالح الهلنستيين في ظل بقائهم فقراء بحكم أنهم غرباء عن فلسطين، وتفوقاً وطنياً ودينياً واقتصادياً لصالح العبرانيين. ولكون العبرانيين ذوي مال وجاه فقد قاموا على توفير احتياجات الفقراء والمعوزين من المسيحيين، وخصوصاً الأرامل واليتامى. ولكنهم لم يتعاملوا مع فقراء العبرانيين والهلنستيين بنفس المستوى، بل كانوا متحيزين لصالح فقراء المسيحيين العبرانيين. وبالتالي فقد احتج فقراء المسيحيين الهلنستيين، ووصلت شكواهم إلى الرسل الذين تحققوا من الأمر فوجدوه صحيحاً؛ الأمر الذي دفعهم إلى تعيين سبعة شمامسة كان على رأسهم القديس استفانوس (الاورشليمي 2010: 100–101). وقد كان استفانوس من الهلنستيين الذين هاجروا من دول الجوار للعيش في فلسطين (الاورشليمي 2011:102؛ Hoeck 2016: 8).

استشهاد استفانوس

تتضح لنا قصة استشهاد القديس استفانوس بشكل جليّ من خلال أعمال الرسل، حيث يظهر في المحكمة أمام السنهدرين (Sanhedrin) متهماً بالتجديف على الله وعلى موسى والناموس والموضع المقدس، وحكم عليه بالإعدام رجماً بالحجارة: وأخرجوه خارج المدينة (القدس) ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له شاؤول، فكانوا

(1) لقد كان غملائيل مدرساً متميزاً للقانون الشفوي في فلسطين، واكتسب مقعدا في السنهدرين، وكذلك لقب "معلمنا" (Rabban). ويعتقد بان عمر غملائيل كان ثلاثين سنة عندما ولد السيد المسيح (Harvey 2009).

يرجمون استفانوس (أعمال الرسل، الإصحاح السابع ع58–59، ص 8:1). ومن المعتقد بأن عمليّة الرجم حدثت ما بين عامي 32–36م (Paroschi 1998: 346, footnote 16)، ومن المرجح بأنها وقعت عام 34م (;Yost 1967: 28 Basten 1990: 15)، أي بعد صعود السيد المسيح بسبع سنوات (أعمال الرسل، الإصحاح السابع). وعلى الرغم من أن القديس استفانوس قد رجم حتى الموت خارج سور مدينة القدس، إلاأنه من الملاحظ بأن تحديد مكان الرجم لم يحظ بإجماع، حيث يذكر لوقيانوس أنه موجود على طريق قيدار/ العيزرية (الاورشليمي 1990: 140–141)، ويذكر كل من Arculf (700م) وBernard the wise (867م) انه موجود في جبل صهيون، أما Saewulf (1102م) فيذكر بأنه موجود شمال المدينة (Wright 1848).

على الرغم من أن تاريخ استشهاد القديس استفانوس ومكان رجمه حتى الموت لم يحظيا بإجماع بين رجال الدين والباحثين إلا أنه حظي بإحياء ذكرى استشهاده حتى قبل اكتشاف رفاته عام 415م؛ حيث ذكر Gregory of Nyssa (القرن الرابع الميلادي) بأن أعياداً كان يحتفى بها ما بين عيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة الميلادية، مثل: عيد القديس استفانوس، وعيد القديس بطرس، وعيد القديس شاؤول (Bovon 2003: 285). كما تشير مخطوطة سريانية تؤرخ إلى نهاية القرن الرابع الميلادي إلى أنه كان يحتفى بذكرى استشهاد القديس استفانوس بتاريخ 26 كانون أول من كل عام (Wright 1865-1866; Khachidze 2016: 1-2; Morrow 2007: 30). وكذلك ذكرت الدساتير الرسوليّة من القرن الرابع الميلادي بأنه كان يحتفى بذكرى القديس استفانوس، ولكن دون ذكر التاريخ (Constitutions of the Holy Apostles 1886: Book 8.33, p. 485). أما البيزنطيون فكانوا يحتفلون بذكرى استشهاد القديس استفانوس بتاريخ 27 كانون الأول. وبالإضافة إلى ذلك توجد مناسبات أخرى يحتفل بها غير ذكرى استشهاده، وهي: ذكرى نقل رفاته من كنيسة صهيون إلى بازيليكا ايودوسيا الواقعة إلى الشمال من سور مدينة القدس، وذكرى نقل رفاته من القدس إلى القسطنطينية، وذكرى نقل جزء من رفاته من القسطنطينية إلى روما، أخذين بعين الاعتبار بأنه لا يوجد أيضاً توافق بين الطوائف المسيحية على تاريخ نقل رفاته من مكان إلى آخر (Bovon 2003: 287). ولأهمية القديس استفانوس في الثقافة الدينية المسيحيّة فقد بنيت كنائس في معظم دول العالم وكرّست لذكراه، بالإضافة إلى رسم أيقونات وعمل لوحات فريسكو له (Morrow 2007).

إن الاستشهاد في الحقيقة ليس حدثاً فحسب بل هو خطاب ورواية تولد من حدث الاستشهاد نفسه. الآلاف من البشر حكم عليهم بالقتل من مؤسسات الدولة الرومانية في فلسطين، ولكن غالبيتهم العظمى لم يتم ذكرهم في أي سجل تاريخي أو ديني. وعلى الرغم من أن حدث القتل لهؤلاء الأشخاص كان أمراً واقعاً ومنجزاً، إلا أن القتل بحد ذاته لم يصنع لكل واحد منهم حكاية شهيد، لذلك لا بد من إنشاء رواية لإيجاد قصة شهيد (Matthews 2010: 4). أعجبني ما كتبه Daniel Boyarin عندما قال: لم يكن مهما كثيراً – بالنسبة للرومان – ما إذا كان الأسد يأكل لصاً أو أسقفاً، وربما أكل هذا وذاك لم يحدث فرقا عند الأسود. ولكن، الروايات المتعددة التي يتم بناؤها من أصدقاء اللص وأصدقاء الأسقف هي التي تجعل من هذا شهيد يبقى في الذاكرة وذاك وجبة عشاء تنتهي ذكراه عندما يبدأ الأسد بلعق يديه تعبيراً عن شبعه (Boyarin 1999). إن بناء مثل هذه الرواية، وتعزيز حضورها، وتوسيع رقعة انتشارها بالوسائل المتعددة تغدو شكلاً من أشكال صناعة الثقافة، ووسيلة لبناء مجد الأمة، وعملية يتم من خلالها بناء وتعزيز الهوية الوطنية والدينية (Matthews 2010: 4). حتى وإن جاء الاهتمام بصناعة رواية استشهاد القديس استفانوس متأخرا، إلاأن تلك الرواية قد ساهمت وبشكل جليّ في تعزيز الهويّة الدينيّة المسيحيّة من خلال تعزيز ثقافة مقاومة الظلم، والاستشهاد في

سبيل الدفاع عن الدين، وكذلك من خلال صناعة أدب ديني ملهم للمسيحيين في كل زمان ومكان.

اكتشاف ونقل رفات القديس استفانوس

ذكر في سفر أعمال الرسل "وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة" (أعمال الرسل، الإصحاح الثامن، 2)، ولكن لم يذكر في الإصحاح مكاناً محدداً للدفن، وليس من المعلوم إذا أقيم على قبره مقاماً لإظهاره ولزيارته لإحياء ذكرى استشهاده (Bovon 2003: 286). ويأتي اكتشاف مكان دفن القديس استفانوس عن طريق رؤيا ظهرت للوقيانوس (نهاية القرن الرابع – بداية القرن الخامس الميلادي) الذي كان راهباً في قرية "كفر غملا" الواقعة إلى الشمال من القدس (Bradbury 1996: 16; Boyarin 2004: 39; Epistola Luciani Pl. 41: 807-818). وتفيد هذه الرؤيا بان غملائيل ظهر له وهو نائم على فراشه في مكان المعمودية وطلب منه بأن يذهب إلى يوحنا أسقف مدينة إيليا/ القدس ويطلب منه فتح القبر الموجود في كفر غملا، والذي فيه رفات القديس استفانوس وصحبه، ونقل الأجساد المقدسة منه إلى مكان أكثر ملاءمة لتفتح أبواب الرحمة على الناس بقوله: أنا غملائيل ويرقد بجواري استفانوس الذي رجمه رؤساء كهنة اليهود في أورشليم بسبب إيمانه العظيم، لقد رجموه خارج المدينة على طريق قيدار حيث بقي يوما وليلة راقداً على الأرض بدون دفن لتأكله الوحوش، ولكنها لم تفعل لقداسة هذا الجسد. ولكي أواري الجسد الثرى، أرسلت المؤمنين الذين يسكنون إيليا إلى مكان الرجم ليأخذوه ليلاً دون علم من اليهود [كديانة] ويحضروه، وفعلوا ذلك ودفنوه في القبر الذي كنت [أنا غملائيل] حفرته لنفسي. دفن استفانوس في الحجرة/ اللحد الشرقي، وفي حجرة مجاورة (لحد مجاور) للتي دفن فيها استفانوس دفن نيقوديموس، وفي حجرة علوية في نفس المقبرة دفن أبيبا بن غملائيل الذي توفي في سن العشرين، وفي نفس الحجرة العلوية دفن لاحقاً غملائيل عند ابنه. وسأل لوقيانوس غملائيل: أين نبحث عنك؟ فأجاب: "في وسط الساحة، أي الحقل المجاور للعزبة والذي اسمه (المكان) دالة جابري أي حقل رجال الله". أحضر معك أربعة أكاليل، واحد منها للقديس استفانوس والذي يوجد قبره في الناحية اليمنى ناحية الشرق؛ والإكليل الثاني لنيقوديموس الذي تجده ناحية الباب؛ والإكليل الثالث لأبيبا؛ والإكليل الرابع لغملائيل. فذهب الأسقف إلى المكان ووجد قبر استفانوس، وبعد "التنقيب الشديد" وجد بقية الاجساد، وكلها وجدت في المكان الذي يدعى (ديباتاليه)، والذي يعني الأقوياء. وكان على حجر القبر [ربما المقصود هنا حجر الغلق الخارجي للقبر] مكتوب بأحرف يونانية "كيكاسيلئيل" والذي يعني خادم الله؛ و"أيا أن"؛ و"دردان". وقد نقلت (التوابيت أو الرفات) جميعا إلى كنيسة صهيون المقدسة (الاورشليمي 2010: 140–141؛ Epistola Luciani Pl. 41: 807-818; Morrow 2007: 25-26).

حقيقة، جرت العادة خلال الفترة الرومانية (63 ق.م – 332م) حفر مقابر عائلية بأحجام مختلفة في الصخر الطبيعي. وتتكون معظم هذه المقابر من ساحة أمامية مكشوفة وحجرة دفن مغلقة يفصل بينهما جدار صخري يتخلله مدخل صغير يغلق بواسطة بلاطة حجرية واحدة أو بمجموعة حجارة وطين. وتكون حجرة الدفن إما مربعة أو مستطيلة الشكل، ومستوى أرضيتها أدنى من مستوى أرضيّة الساحة الأماميّة، وبالتالي كان يتم النزول إليها بواسطة درجة واحدة أو أكثر. تحتوي الواجهات الداخلية لحجرات الدفن على عدة قبور رأسية بقياسات مختلفة تبعاً لحجم من يدفن فيها. ومن المحتمل أن تحتوي واجهاتها على صفيّن من القبور أو أكثر. وإذا كانت هذه الحجرات محكمة الإغلاق، ولا يوجد شقوق في سقفها فإنها في العادة تكون خالية من التراكمات الترابيّة (Al-Houdalieh 2014a). وبالعودة إلى وصف لوقيانوس لقبر استفانوس فإنه يستنتج منه الأمرين الآتيين. أولاً: إن مدخل المقبرة، والذي وجد مغلقاً بواسطة بلاطة حجريّة عليها نقش، كان في الجدار الجنوبي؛ وإن الواجهة الشرقيّة لحجرة الدفن احتوت على ثلاثة قبور: مستوى أرضيّة

اثنين منها على مستوى واحد (ربما على مستوى أرضيّة حجرة الدفن)، وواحد مرتفع عن مستوى القبرين الأولين؛ وإن الواجهات الثلاث الأخرى لحجرة الدفن لم تحتوي على قبور؛ وإن القبر الأول المحاذي للمدخل من جهة الشرق للقديس نيقوديموس، والقبر الذي يليه باتجاه الشمال للقديس استفانوس، أما القبر المرتفع فكان لأبيبا ولأبيه غملائيل. ثانياً: إن "التنقيب الشديد" الذي أجراه الأسقف يوحنا داخل حجرة الدفن ليجد بقية الهياكل العظمية يعني بأن حجرة الدفن وربما القبور الثلاثة أيضا كانت مليئة إلى ارتفاع ما بالتراكمات الترابية التي حجبت الهياكل العظمية أو التوابيت عن الأسقف، وبالتالي فإن هذا التنقيب الشديد يعني أحد ثلاثة أمور: إما أن تكون شقوق عريضة في سقف حجرة الدفن أدت مع مرور الزمن بمرور كميات كبيرة من التراب من على سطح الأرض إلى داخل الحجرة، أو أن المدخل لم يكن مغلقاً بإحكام، أو أن تكون حجرة الدفن قد تعرضت للنبش/ السرقة في الفترة ما بين دفن غملائيل (بحكم أنه آخر من دفن في هذه المقبرة) واكتشاف المقبرة. وخير مثال على "نبش" قبور رجال الدين المسيحيين في العصور القديمة في فلسطين يأتينا من خربة الطيرة، حيث تم العثور على حجرة الدفن للرهبان والموجودة في الكنيسة الشرقية مبعثرة العظام ومنهوبة المحتويات.

ذُكرت العديد من الروايات حول نقل رفات القديس استفانوس وصحبه الثلاثة من كفر غملا إلى أماكن مختلفة؛ ولكن، ليس من هذه الروايات ما يشير إلى أن أول عملية نقل للرفات كانت في سنة اكتشاف القبر/ 415م (Hoeck 2016: 10). وبعد الإعلان عن اكتشاف رفات القديس استفانوس في بداية القرن الخامس الميلادي ادّعت العديد من المؤسسات (معظمها دينية) حيازة بعضاً من عظامه، أو دمه، أو ملابسه الكهنوتية، أو بعضاً من الحجارة التي رجم بها (Ewig 1960: 40-46). وتكاد معظم المصادر تجمع على أن نقل رفات القديس استفانوس وصحبه الثلاثة الآخرين كان في عام 438م/ 439م، حيث نقلت إلى كنيسة صهيون في القدس حيث خدم شماسا (Hoeck 2016:10-11). من الراجح أن لوقيانوس احتفظ ببعض من رفات القديس استفانوس، ومن ثم أعطى بعضاً منها أو كلها لافيدوس (Avitus)/ الكاهن الإسباني في فلسطين، والذي بدوره أرسلها مع ترجمة باللاتينية لرؤيا لوقيانوس مع باولوس ادوسيوس (Paulus Orosius) إلى أسقف براغا (Praga). حقيقة، إنه من غير المحتمل أن يكون الرفات والرسالة قد وصلت إلى المكان المرسلة اليه بالأصل لأنها ظهرت بعد وقت قصير من إرسالها في جزيرة مينوركا (Minorca/Menorca) وفي مدينة اوزاليس (Uzalis) الواقعتان في شمال أفريقيا (Clark 1982: 142). ويذكر المؤرخ ثيوفانيس (Theophanes) من القرن الثامن الميلادي بأن أسقف القدس قد أهدى عظام الذراع الأيمن للقديس استفانوس في عام 421/420م للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ولأخته بولشيريا أوغستا مقابل سخاء مالي قدمه الإمبراطور لأسقفية القدس؛ حيث تم استقبالها في القسطنطينية استقبالاً مميزاً، ومن ثم وضعت في كنيسة صغيرة شيدتها بولشيريا داخل القصر (Clark 1982: 142; Kalavrezou 1997: 57-62; Klein 2006: 85; Patrich 2006: 381-382). ولكن، لا توجد كتابات معاصرة للمؤرخ ثيوفانيس تؤكد ما ذكره عن نقل عظام الذراع الأيمن للقديس استفانوس إلى القسطنطينية. وعند زيارة ايودوسيا (Eudocia)– زوجة الإمبراطور ثيودوروس – للقدس عام 438م أخذت معها جزءاً من رفات القديس استفانوس إلى القسطنطينية ووضعتها لاحقاً في كنيسة بنيت تكريماً للقديس لورنس (Clark 1982: 142, 151). وتُظهر لنا قصة نقل رفات القديس استفانوس من القدس إلى القسطنطينية على انها جاءت بطريقة غير مقصودة، ومفادها يتمحور حول أن الكساندر (Alexander)، وهو سيناتور من القسطنطينية، قد سافر مع زوجته إلى القدس وبنى فيها كنيسة كرّسها للقديس استفانوس. وقد اعتنى بقبر استفانوس، وأثناء عمله تولدت لديه رغبة بأن يدفن إلى جواره؛ وعندما توفي الكساندر دفن إلى جوار استفانوس. وبعد سبع/ ثماني سنوات،

قررت زوجة الكساندر، واسمها جوليانا، العودة إلى القسطنطينية مصطحبة معها رفات زوجها، وقد سمح لها أسقف القدس باصطحاب الرفات بعدما عرضت عليه وثيقة رسميّة صادرة عن الامبراطور بهذا الخصوص. وبالفعل، فقد اصطحبت تابوت زوجها من ضمن المتاع الذي أخذته معها. وفي طريق العودة، وعلى حين غرّة، بدأت تظهر المعجزات التي أدهشت الحاضرين، وتالياً ظهرت الكتابة المنقوشة على التابوت للعيان؛ حينها أيقن الموجودون بأن الرفات الموجود في هذا التابوت هو للقديس استفانوس وليس لـ الكساندر كما حسبت زوجته باديء الأمر. وبوحي إلهي، فان البغال التي كانت تحمل/ تجر هذا التابوت لم تبارح مكانها، ولم تتقدم خطوة واحدة إضافيّة نحو مدينة القسطنطينية، وبالتالي وُضع التابوت في ذلك المكان ليبنى عليه لاحقاً كنيسة (Bovon 2003: 301; Morrow 2007: 26-27). أعتقد أنه من الصعب الأخذ بالرواية الأخيرة لأنها على الأقل تعبر عن بساطة في الطرح، وتظهر أسقف المدينة والرهبان القائمين على الكنيسة بأنهم غير مبالين إلى درجة التفريط برفات القديس استفانوس الذي ذاع صيته في أرجاء واسعة من المعمورة بعد اكتشاف قبره.

تُظهر لنا الأدبيات بأن رفات القديس استفانوس قد نقل داخل القدس في فترة النصف الأول من القرن الخامس الميلادي أكثر من مرة، حيث يُذكر بأن ميلانيا (Melania) بنت ديراً للراهبات بكنيسة صغيرة على جبل الزيتون عام 431م، ووضعت فيها رفات القديس استفانوس، ورفات النبي زكريا، ورفات شهداء سبسطيا الأربعين[2]، ورفات الشهداء الفرس[3]. وقبل رحلتها إلى القسطنطينية في عام 435م، والتي التقت خلالها مع ايودوسيا، بنت ديراً للرهبان بالقرب من المنطقة التي يعتقد بان السيد المسيح وقف عليها قبل الصعود. وعندما علمت باقتراب وصول ايودوسيا إلى القدس عام 438م نقلت ما تحتفظ به من رفات من دير الراهبات إلى دير الرهبان. ومع وصول ايودوسيا إلى القدس قامت الأخيرة ببناء كنيسة إلى الشمال من سور المدينة حيث يعتقد بوجود مكان رجم القديس استفانوس (Clark 1982: 146 147) الواقع في الوقت الحالي في حدود المدرسة الفرنسية للآثار/ الايكوبيليك (Hoeck 2016: 10-11)، ونقلت إليها رفات القديس استفانوس دون سواه من الرفات الذي كان بحوزة ميلانيا (Clark 1982: 152). ويعتقد Lagrange بأن ايودوسيا بنت مقاماً لوضع الرفات فيه، ولاحقاً تم بناء الكنيسة ليكون هذا المقام جزءاً منها، وذلك لأن إقامة ايودوسيا في القدس كانت بالأصل قصيرة ولا يمكن إتمام كنيسة بنظام البازيليكا في فترة وجودها في القدس (Lagrange 1904: 468-471). ولكن Vincent and Abel يريان بأن جوفينال (Juvenal) وخلال زيارته للقسطنطينية عام 431م تمكن من إقناع ايودوسيا بالتبرع لبناء كنيسة يوضع فيها رفات القديس استفانوس، وعندما زارت القدس عام 438م كانت تلك الكنيسة جاهزة لنقل الرفات اليها. كما ويفترضان بأن ايودوسيا قد أعادت بناء جزء من هذه الكنيسة في الخمسينيات من القرن الخامس الميلادي، وأن التكريس الثاني لهذه الكنيسة للقديس استفانوس كان في عام 460م (Vincent and Abel 1922: 747-750). وقد أصبحت هذه الكنيسة خلال الفترة البيزنطية مركزاً تقام فيه الصلوات لإحياء ذكرى هذا القديس. ولكن تعرّضت هذه الكنيسة للتدمير على يد الفرس، وعند اكتشاف أنقاضها عام 1882م، أقيمت عليها كنيسة

(2) هم جنود رومان اعتنقوا الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، وقد حكم عليهم الإمبراطور لوسيانوس بالاعدام عن طريق إجبارهم على خلع ملابسهم والنزول في مياه بحيرة متجمدة حتى الموت. وتقع هذه البحيرة في بلدة سبسطيا الأرمينية، ولذلك أطلق عليهم اسم شهداء سبسطيا (Walsh 2007: 83-84).

(3) وهم من المسيحيين الذين عاشوا في بلاد فارس، واستشهدوا تباعاً ابتداء من القرن الثالث وحتى نهاية القرن السادس الميلادي. منهم النساء، ومنهم الرجال، وعددهم الإجمالي غير معروف (Braun 1915; Gross and Herman 2018).

القديس إتيان (Hoeck 2016: 10-11).

إن صحت رواية نقل رفات القديس استفانوس من كفر غملا إلى القدس في عام 439/438م فان هذا يعني أن الرفات قد تم نقله من القبر ووضعه في مكان ما– ربما في كفر غملا نفسها– لمدة 24 سنة (من فترة اكتشافه عام 415م إلى نقله إلى كنيسة صهيون عام 439/438م). وإذا كان كذلك، أي بقي الرفات في كفر غملا لمدة 24 سنة، فما هو المبرر لعدم نقله مباشرة بعد اكتشافه إلى القدس، خاصة أنها كانت مع بداية القرن الخامس الميلادي حاضنة مسيحيّة قويّة ضمن الدولة البيزنطيّة المترامية، وأن أحداثاً تاريخيّة جسيمة في ذلك الوقت لم تحدث لتعيق نقل الرفات من مسافة قصيرة إلى مركز ديني بوزن القدس؟ بالإضافة إلى ذلك، إن احتفاظ ميلانيا برفات القديس استفانوس في دير الراهبات في الفترة ما قبل عام 438م ربما يدلل على أنها حصلت على جزء من رفات القديس استفانوس قبل نقله رسمياً إلى القدس عام 439/438م، وبالتالي فان ما نقلته ايودوسيا عام 438م إلى الكنيسة التي شيدتها عند زيارتها للقدس هو الجزء الذي كانت تحتفظ به ميلانيا فقط.

البحث عن القبر المفقود

إن الرؤيا التي ظهرت للوقيانوس – كاهن كفر غملا – مع بداية القرن الخامس الميلادي، أي حوالي أربعة قرون بعد استشهاد القديس استفانوس، كانت ومنذ البداية موجهة للانظار نحو كفر غملا كمكان دفن للشهيد استفانوس. وحسب وصف لوقيانوس فإن كفر غملا تقع في أراضي القدس وتبعد عنها 20 ميلا رومانيا (حوالي 25كم) (Epistula Luciani Pl.41: 807-809). وحسب المسوحات الأثرية والتقاليد المسيحية الحالية فانه يوجد موقعين يحملان اسم كفر غملا: الأول يعرف باسم بيت جمال، والثاني يعرف باسم خربة الطيرة.

بيت جمال

تقع قرية بيت جمال إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس (شكل 1)، وتحيط بها قرى دير أبان، والبريج، وبيت نتيف، وجرش، وزكريا، ومستعمرة بيت شيمش. بنى فيها الآباء الساليزيون[4] ديراً (للاتين) عام 1881م على أنقاض كنيسة قديمة اعتقدوا بأنها بنيت في القرن الرابع الميلادي على قبر غملائيل. تبلغ مساحة القرية حوالي خمسة الآف دونماً. وقدر عدد سكانها عام 1922م بحوالي 60 نسمة، وفي عام 1931م بحوالي 170 نسمة، وفي عام 1945م بحوالي 240 نسمة، ولكن عدد سكانها في عام 1961م تراجع ليصل إلى حوالي 30 نسمة (الدباغ 1991: 190–191).

لقد زار كل من كوندر وكتشنر بيت جمال خلال مسحهما لفلسطين في السبعينيات من القرن التاسع عشر، وقالا: "هذا المكان ربما يكون كفر غملا القديمة، ويبعد 20 ميلا عن القدس. وحسب التقاليد المسيحية المبكرة فان القديس استفانوس دفن فيه... وعلى مسافة نصف ميل إلى الجنوب من القرية يوجد مقام القديس بولس Paul، والذي قد يكون بناؤه هناك مرتبطاً بهذا التقليد" (Conder and Kitchener 1883: 2).

(4) رهبنة تتبع للكنيسة الكاثوليكية، وقد أسسها القديس يوحنا بوسكو عام 1859م في مدينة تورينو الإيطالية. وقد أخذت اسمها من راعيها القديس فرانسيس دي سالس (http://www.newadvent.org/cathen/13398b.htm).

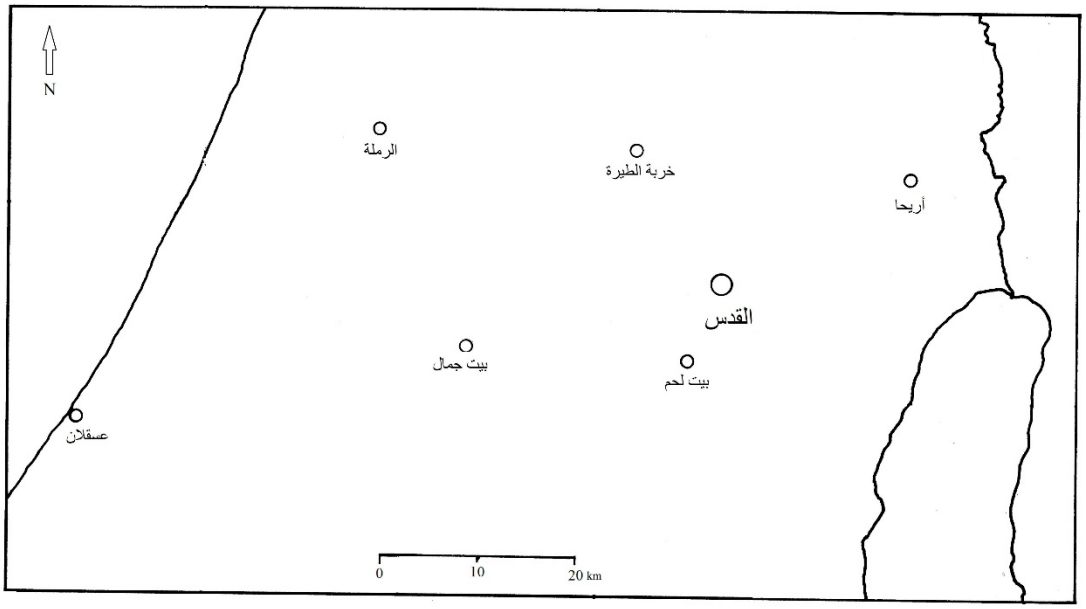

شكل 1: خريطة تبين موقع بيت جمال وخربة الطيرة، رسم إبراهيم إقطيط.

عندما قام الآباء الساليزيون بإجراء حفريات أثريّة في بيت جمال عام 1916م واكتشفوا أنقاض كنيسة من الفترة البيزنطية فسروها على أنها الكنيسة التذكارية التي بنيت فوق قبر القديس استفانوس على الرغم من أن مواصفات الكهوف الأربعة التي تم الكشف عنها تحت هذه الكنسية لا تتفق مع وصف لوقيانوس (Gisler 1917; Abel 1919; Mallon 1922; Fergani1934). علاوة على ذلك فإن الكهوف الأربعة لا تتشابه مع القبور من الفترتين الرومانية (فترة استشهاد القديس استفانوس) والبيزنطية. ويبدو بأن ثلاثة من هذه الكهوف كانت مغاطس (ritual baths) من الفترة الرومانية، في حين أن الكهف الرابع كان صهريجاً لجمع مياه الأمطار (Di Segni and Gibson 2007: 133-134). حتى وإن صحّ بأن هذه الكهوف كانت مقابر (على الرغم من أنه لا توجد دلالة معمارية على ذلك) فإن بناء الكنائس والأديرة البيزنطيّة فوق المقابر والمغاطس الرومانية كانت ظاهرة شائعة في فلسطين، وإن بناءها غير مرتبط مع وجود مقابر قديسين من الفترة المسيحيّة الأولى (Zissu 2001). وبناء عليه فإنه ليس من الصواب أن نجزم بان كفر غملا هي بيت جمال، بل من المعتقد بأن جمّالا (Jemmala/ Jammala)، والتي تقع على مسافة 20 ميل روماني إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، هي المقصودة بكلام لوقيانوس عن رؤياه بخصوص قبر القديس استفانوس (Abel 1924; Vincent 1926; Di Segni and Gibson 2007: 134-136). وجمّالا هي قرية مأهولة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة رام الله، ويعود تاريخ الاستقرار البشري فيها إلى الفترات الهلنستيّة، والرومانيّة، والبيزنطيّة، والعثمانيّة حتى الوقت الحاضر (Finkelstein and Lederman 1997: 214-215). ولكن روزنفيلد يعتقد بأن قرية جمّالا لا يمكن أن تكون مكان دفن القديس استفانوس بحكم أن موقعها لا يتوافق مع ما ورد في رؤيا لوقيانوس (Rosenfeld 1997: 204, no. 22).

واعتبر Strus أنه إذا تم تحديد موقع فيلا غملائيل في بيت جمال، فإنه من الراجح بأن تكون خربة الجلجل هي المكان الأفضل للبحث فيها عن رفات القديسين (Strus 2000: 63). وفي خضم بحثه عن قبر الشهيد استفانوس قام Strus في عام 1993 بإجراء مسح أثريّ لخربة الجلجل التي تبعد حوالي 1كم إلى الشمال من قرية بيت جمال وقد وجد بناء دائرياً فسره على أنه معموديّة أو نصب تذكاري ديني (Strus 2003: 37)، وفي عام 1999 أجرى فيه تنقيباً أثرياً

وكشف عنه بالكامل وفسّره على انه نصب تذكاري من القرن الرابع الميلادي. ووفقا لـ Strus فإن هذا النصب التذكاري بني في القرن الرابع الميلادي، ولكنه حُوّل لاحقا (خلال الفترة البيزنطيّة) ليستخدم لعصر النبيذ. ويتكون هذا الصرح من بناء دائريّ بقطر 13م، وتبلغ سماكة جدرانه 3,5م، وفيه ساحة دائريّة محاطة بغرفة تذكارية مركزية، ومغطس (ritual bath) يؤدي إلى تجويف صخري استخدم كمقبرة. ولأن هذا البناء مشيد فوق قبر فإنه من المقبول تفسيره على أنه نصب تذكاري ديني كرس لشخصية مسيحية مهمة (Strus 2001: 270-271). وقد تبنى Puech هذا التفسير، واعتبره مكان دفن الشهيد استفانوس (Puech 2006: 119-123).

تم الكشف في عام 2003م عن حجر مستطيل في خربة الجلجل، يعتقد بأنه كان جزءاً من ساقوف مدخل البناء الدائري أو أي بناء آخر يقع على المنحدر العلوي للخربة، وقام مديري مشروع التنقيب الأثري (Strus and Gibson) بفحص سطحه الأمامي ولم يلاحظا وجود أيّة حروف تدلل على وجود نقش (Strus and Gibson 2005: 33, 35). ولكن Puech اعتقد بأن هذا الحجر يحتوي على نقش، وقام بعمل قالب لسطحه الأمامي حتى يتمكن من رؤية تفاصيله. ولاحقاً، قام بنشر تفاصيل هذا النقش، والذي جاءت قراءته على النحو الآتي: " The diakonikon of Stephen protomartyr"، والتي تعني مكان الشهيد استفانوس (Puech 2006: 110, Fig. 3). وللتأكد من القراءة التي قدمها Puech فقد قام Di Segni and Gibson بإعادة دراسة حجر النقش بدقة عالية وباستخدام وسائل مختلفة، وقد أكدت قراءتهما على وجود أحرف يونانية باهتة موزعة على ثلاثة أسطر؛ ولكنها لا تتطابق مع الأحرف وبالتالي مع القراءة التي قدمها Puech. وذهب كل من Di Segni and Gibson إلى القول بأن قراءة Puech للنقش لم تكن قراءة موضوعية، بل كانت متأثرة بأفكار سابقة مثل: إن البناء الدائري المكتشف في خربة الجلجل هو عبارة عن ضريح لشخصيّة مسيحيّة مميزة، وأن بيت جمال الواقعة بالقرب من خربة الجلجل هي نفسها كفر غملا التي ذكرها غملائيل للراهب لوقيانوس (Di Segni and Gibson 2007: 120-122).

علاوة على ذلك، قام كل من Di Segni and Gibson باعادة دراسة العناصر الإنشائية لهذا البناء وكذلك المواد الحضارية التي وجدت في الطبقات الأثرية المرتبطة به وبمحيطه القريب واستنتجوا الآتي: 1. أن التجويف الذي قال عنه Strus بأنه استخدم كقبر ما هو إلا تجويف صخري طبيعي بارتفاع 50سم، وتخلو واجهاته غير المنتظمة من علامات قطع أدوات الحفر، وبالتالي فانه طبيعي وليس صناعياً (بفعل الإنسان) 2. أن الحوض الذي فسره Strus على أنه مغطس ما هو إلا حوض تجميع عصير العنب المرتبط وظيفياً مع حوض هرس ثمار العنب 3. من المحتمل بأن هذا البناء شيد في القرن الخامس الميلادي، وبقي قيد الاستخدام خلال القرن السادس الميلادي قبل أن يهجر أو يدمر مع نهاية القرن السادس الميلادي – بداية القرن السابع الميلادي 4. أعيد بناء الأجزاء المهدمة من هذا البناء ورفع مستوى أرضيات بعض أجزائه مع بداية الفترة الأموية، ومن المحتمل أنه بقي قيد الاستخدام حتى منتصف القرن الثامن الميلادي 5. إنه من غير المعقول القبول بفكرة تحويل وظيفة نصب تذكاري ديني لشخصيّة مسيحيّة مهمة من قبل المسيحيين أنفسهم ليكون معصرة نبيذ (Di Segni and Gibson 2007: 122-132).

خربة الطيرة

تقع خربة الطيرة في الناحية الغربية من مدينة رام الله، على مسافة 16كم هوائياً (شكل 1) وحوالي 23كم إلى الشمال – الشمال الغربي من مدينة القدس اعتماداً على امتداد الطريق الروماني الذي كان يمر من مدينة البيرة (بيروت

قديماً). تحتل أنقاض هذه الخربة مساحة واسعة من قمة وسفوح تلة طبيعية تستخدم في الوقت الحالي كمنطقة سكنيّة، وتجاريّة، وتعليميّة. وتقع خربة الطيرة على طريق قديم متفرع باتجاه الغرب من الطريق الروماني/البيزنطي الذي كان يربط القدس مع الشمال الفلسطيني، وقد تم تتبع هذا الطريق الواقع إلى الشمال الغربي من الخربة بطول 500م، وكان عرضه يتراوح بين 1,5 – 2م، وأرضيّته مرصوفة ببلاط حجري مختلف الحجم، وجانباه مبنيان من الحجارة بارتفاع 70سم. تبلغ مساحة الخربة حوالي 30 دونماً، ويعود تاريخ الاستقرار فيها إلى الفترات الرومانيّة، والبيزنطيّة، والأمويّة، وبداية الفترة العباسيّة؛ وقد وصلت أوج ازدهارها في الفترة البيزنطيّة. تعرف الخربة باسم خربة الطيرة وكفر غملا (Al-Houdalieh 2014b, Al-Houdalieh 2016)، وتعتقد طائفة الروم الأرثوذكس بأن القديس استفانوس دفن فيها، ولذلك فإن أبناء هذه الطائفة يقيمون الصلاة في هذا المكان سنويا لإحياء ذكراه.

أجرى الباحث (جامعة القدس) أربعة مواسم للتنقيب الأثري في خربة الطيرة وذلك من عام 2013–2015م، و2017م، وقد تم حفر حوالي 1750 متراً مربعاً. وكشف خلال مواسم التنقيب المتعاقبة عن ملجأ صخري "Subterranean hiding complex"، وكنيستين، وطريق تؤدي إلى الكنيستين، ونظام مائي، وعدد من المقابر، ومعصرة زيتون، ونظام تحصيني، وعن عدد كبير من الغرف إلى جوار الكنيستين. وتشكل معظم هذه الأبنية جزء من دير أنشئ في القرن الرابع–الخامس واستمر استخدامه دون انقطاع حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. الكنيستان بنيتا على محور شرق –غرب وبينهما مسافة فاصلة تصل إلى 10م طولاً؛ ولذلك أطلقنا عليهما اسم الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية تبعا لموقعهما بالنسبة لبعضهما البعض. تبلغ الأبعاد الداخلية للكنيسة الغربية 16,2م x 11,5م، وتتكون من ممر جنوبي، ونارثكس، وقاعة الصلاة الرئيسة والمقسمة بواسطة صفين من الأعمدة (4 أعمدة في كل صف) إلى صحن (Nave) وجناحين (Aisles) (Al-Houdalieh 2014b). عثر في أنقاض هذه الكنيسة على نقش مكتوب باللغة اليونانية على حجر من المرمر بعرض 88سم، يتكون من ثمانية أسطر ومقسم إلى جزأين في كل جزء أربعة أسطر (شكل 2). وقد ترجمه الأب L. Cignelli كالآتي: "هنا ترقد الأجسام المشرفة لاستفانوفورس الشاب [المتوج] وكونستانتيا وبونسيمانيا. إنها دينا من اشترت [بنت] بأموال وممتلكات [بأموالها وممتلكاتها] بيت المسيح [الكنيسة] وقدمتها كهدية لآثار قدميه" (Cited in Bagatti 2002: 126). وقد علق Bagatti على "لآثار قدمية" بقوله "يمكن أن تشير إلى المسيحيين الذين يتبعون آثار أقدام المسيح، أو بعض الآثار الأخرى التي تحمل آثار أقدام يسوع التي أبقيت في الكنيسة، مثل تلك الموجودة في [كنيسة] الصعود المقدس على جبل الزيتون" وغيرها. وقال إنني لا أتفق مع ترجمة الأب L. Cignelli، حيث إنه من وجهة نظري (أي Bagatti) أن الجزء العلوي لا يشير إلى الدفن وإنما إلى وضع أثر مقدس. أما بالنسبة للجزء الثاني فأرى بان ترجمته تكون كالاتي: هي التي تخلت عن الثروة والحياة الدنيوية وقد أسست نفسها في بيت المسيح [الكنيسة] بعد أن وضعت هذا القربان عند قدميه (Bagatti 2002: 126-127)[5]. وبناء عليه فإننا نستنتج بأن رأي Bagatti يتعارض إلى درجة كبيرة مع ترجمة الأب L. Cignelli، وإنه ربما يكون رأي Bagatti متأثراً برأي الآباء الساليزيون ورأي Strus الذين يقولون: بأن القديس استفانوس قد دفن في بيت جمال باعتبارها أنها هي نفسها كفر غملا التي أشار إليها الراهب لوقيانوس في رؤياه. علاوة على ذلك يذكر الأب L.

(5)وترجم د. عصام حلايقة/ أستاذ النقوش في جامعة بير زيت هذا النقش كالآتي، النص الأعلى: "هنا ترقد جثة ستفانوفورس المكرمة، إبن قسطنطين وبونسيمنيا "؛ والنص الأسفل: "اشترت دينا بأموالها وممتلكاتها بيت المسيح (وقدمته عطية لـ أو بسبب وجود) آثار أقدامه" (اتصال شخصي، حزيران 2019).

Cignelli في ترجمته للنقش ثلاثة أسماء: وهم الشاب المتوج (استفانوفورس)، وكونستانتيا، وبونسيمنيا، علما بان ما ورد في رؤيا لوقيانوس أربعة أسماء، وهي: استفانوس، ونيقوديموس، وأبيبا، وغملائيل. وبناء على ذلك نطرح الأسئلة الثلاثة الآتية: من هما كونستانتيا وبونسيمنيا في ترجمة L. Cignelli لنقش خربة الطيرة؟ ومن هم "كيكاسيلئيل"، و"أيا أن"، و"دردان" الذين ظهرت أسماؤهم على حجر قبر القديس استفانوس الذي ظهر في رؤيا لوقيانوس؟ ولماذا ورد في رؤيا لوقيانوس أربعة أسماء وفي نقش الطيرة ثلاثة يجمع بينهما اسم استفانوس أو صفته/ الشاب المتوج؟

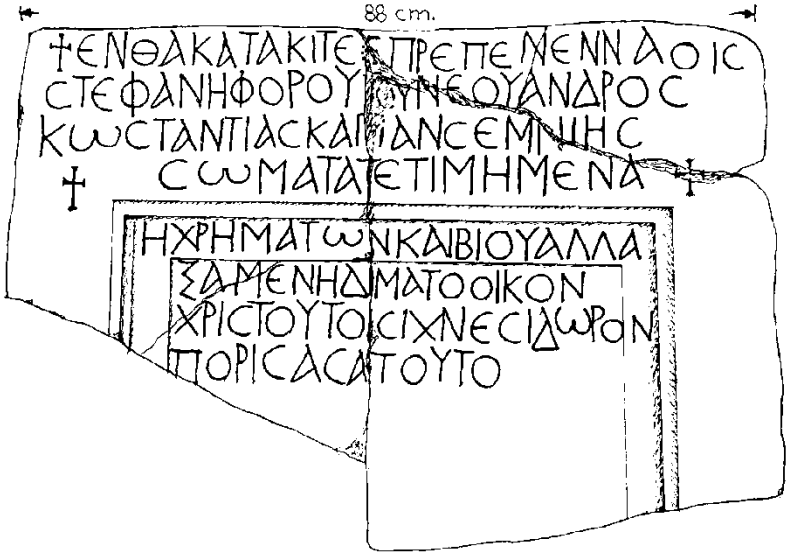

شكل 2: النقش المكتشف في خربة الطيرة (Bagatti 2002: Fig. 40).

أما الكنيسة الشرقية، فتبلغ أبعادها 28,5م x 25,5م، وتتكون من الأتريوم، والنارثكس، وقاعة الصلاة الرئيسة والمقسمة بواسطة صفين من الأعمدة (6 أعمدة في كل صف) إلى صحن وجناحين، ومن عدة غرف جانبية. عثر في الجزء الشمالي من الاتريوم على حجرة دفن فيها ثلاثة قبور، وقد وجدت فيها عظام ثلاثة هياكل بشرية، ولكنها مبعثرة. كما تم العثور في أرضية إحدى الغرف الجانبية للكنيسة على ثلاثة قبور بطول 2,2م x وبعرض 75سم x وبعمق 1,2م. وعند الكشف عنها كانت مغطاة بالكامل ببلاط حجري تعلوه أرضية فسيفسائية مشوشة قليلاً من جهة الشرق، وعند إزالة بلاطة حجرية من سقف كل منها وجدت خالية تماماً من العظام البشرية ومن المواد الحضارية. وبناء عليه فقد استنتجنا حينذاك: بأن هذه القبور الثلاثة كانت مقصودة لإحياء ذكرى ثلاثة أشخاص مميزين (Al-Houdalieh 2016). والجدير بالذكر بأن نتائج التنقيبات الأثرية في خربة الطيرة تشير إلى أن الكنيستين بنيتا في نفس الفترة الزمنية، واستمر استخدامهما دون انقطاع حتى منتصف القرن الثامن الميلادي

خربة الطيرة مرشحة لتكون كفر غملا– مكان دفن القديس استفانوس

إن أعمال التنقيبات الأثرية في خربة الطيرة ما زالت مستمرة، ومن المحتمل أن التنقيبات المستقبلية فيها سوف تلقي المزيد من الضوء على مكان دفن القديس استفانوس. وبالاعتماد على نفي كل من Gisler 1917; Abel 1919; Mallon 1922; Fergani 1934; Di Segni and Gibson 2007 بأن تكون بيت جمال هي نفسها كفر غملا

التي دفن القديس استفانوس فيها، وعلى القرائن الخمسة الآتية فإنه من المرجح بأن تكون خربة الطيرة هي كفر غملا التي جاءت في رؤيا لوقيانوس. أولا: إن خربة الطيرة معروفة بين أبناء طائفة الروم الأرثوذكس في محافظة رام الله والبيرة – على الأقل – بانها خربة غملا، ولذلك فان رجال الدين منذ سنوات عديدة يقيمون الصلاة سنوياً على أرضها لإحياء ذكرى القديس استفانوس. كان رجال الدين قبل البدء بإجراء التنقيبات الأثرية في الخربة في عام 2013م يقومون بتنظيف جزء من الموقع من النباتات الموسمية بحكم انه مهجور لتهيئة مكان لأداء الصلاة؛ ولكن بعد الكشف عن مساحة كبيرة من الموقع فانهم اختاروا الكنيسة الشرقية لتأدية هذه الصلاة. وفي العادة يشارك في الصلاة راعي كنيسة الروم الأرثوذكس في رام الله/ دير تجلي الرب وعدد من الرهبان الذين يخدمون في كنائس المحافظة بالإضافة إلى مصلين آخرين. ثانياً: إن المسافة والاتجاه اللائي ذكرهما الراهب لوقيانوس في رؤياه عندما جاءه غملائيل في المنام ليلاً ليستخرج رفات استفانوس وصحبه الثلاثة متقاربتان جداً بين القدس وخربة الطيرة أكثر من الموقعين اللذان تم تسميتهما أعلاه (قرية بيت جمال وقرية جمّالا). ثالثاً: إذا اعتبرنا أن الترجمة التي قام بها L. Cignelli للنقش الذي عثر عليه في خربة الطيرة صحيحاً "هنا ترقد الأجسام المشرفة لاستفانوس الشاب [المتوج] وكونستانتيا وبونسيمانيا"، فإن هذا يدل بشكل واضح على أن خربة الطيرة هي نفسها كفر غملا التي دفن فيها الشهيد استفانوس. رابعاً: إن القبور الثلاثة التي تم الكشف عنها في احدى الغرف الجانبية في الكنيسة الشرقية، والتي وجدت فارغة من العظام البشرية ومن أية مرفقات جنائزية، تدلل على أن باني هذه الكنيسة كان يستحضر في ذاكرته إحياء ذكرى ثلاثة أشخاص مميزين في الديانة المسيحية، ربما يكونون استفانوس، ونيقوديموس، وغملائيل. خامساً: إن وجود كنيستين في بلدة صغيرة المساحة نسبيا كخربة الطيرة، بنيتا في نفس الفترة (القرن الرابع–الخامس الميلادي) واستمر استخدامهما حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ليدلل على أن خربة الطيرة حظيت بأهمية دينية مميزة بين البلدات البيزنطية في منطقة القدس والجوار. ومن المرجح بأن هذه الأهمية نبعت من موروث ديني كان سائداً في ذلك الوقت مستمد من أن خربة الطيرة هي نفسها كفر غملا التي دفن فيها القديس استفانوس.

الخاتمة

إن القديس استفانوس شخصية مميزة في المجتمع المسيحي، وذلك للأدوار الرائدة التي قام بها خلال نشأة الديانة المسيحية في ظل وجود الاضطهاد اليهودي للمسيحيين في فلسطين. إن معرفتنا بشخصيته قليلة، وخصوصاً مكان ولادته، وعائلته، وطفولته، وتربيته، في ظل أن الكتابة كانت مشهورة في القرن الأول للميلاد؛ وبذلك لا نجد تبريراً لقلة المعلومات عنه قبل اعتناقه الديانة المسيحية. ونرى بأن الرواية حول استشهاده تعززت في القرن الخامس الميلادي وما تلاه، وأن هذه الرواية استثمرت في بناء ثقافة دينية؛ وربما يعود السبب في ذلك إلى امرين اثنين، الأول: اكتشاف قبره، ونقل رفاته وما ترافق معه من حدوث معجزات، وبالتالي رغبت كثير من الدول في الحصول على بعض من رفاته، وقامت بتشييد كنائس وكرستها لذكراه. ثانياً: إن المجتمع – في ظل اعتناق الدولة البيزنطية للديانة المسيحية – أصبح يسمح وبيسر صناعة الروايات الدينية المسيحية دون أن يكون هناك خوف عند من ينشئها أو يتناقلها، بينما في القرون الثلاثة الأولى للميلاد كان هناك اضطهاد يهودي وروماني للمسيحيين.

حظيت بيت جمال باهتمام واسع منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وعُرّفت على أنها كفر غملا، ونسجت حولها رواية أصبحت جزءاً من الموروث الديني. وبالتالي أصبح من المسلمات البديهية القبول بان القديس استفانوس

ونيقوديموس وغملائيل دفنوا فيها، وان أي رأي لا ينسجم مع هذه المسلمة البديهية يعتبر خارجاً عن الرواية الموروثة. ولكن، إن الدراسات النقدية المختلفة المعتمدة على عرض وتفسير شواهد مادية قد استبعدت بيت جمال من أن تكون هي نفسها كفر غملا؛ وبالمقابل فإن ما توفر من معلومات مباشرة أو غير مباشرة نتيجة العمل الأثري الميداني في خربة الطيرة ترجح بأن خربة الطيرة هي كفر غملا المذكورة في رؤيا لوقيانوس.

ويعتقد الباحث أن قبر القديس استفانوس وصحبه الثلاثة بالمواصفات المذكورة على لسان لوقيانوس لم يتم العثور عليه حتى اللحظة، بمعنى كشفه وتوثيقه وعرضه للزوار؛ ومن المحتمل بان حفريات أثرية مستقبلية تكشف عنه وربما لا، وذلك لأن أعداداً كبيرة من المقابر القديمة قد تم تدميرها جزئياً أو كليّاً نتيجة أعمال الإنشاءات الحديثة، أو تمت إعادة تشكيلها لتستخدم كآبار لتجميع المياه الشتوية وسواها من الاستخدامات اليومية.

Saint Stephen and His As-yet Unknown Tomb

Salah Hussein Al-Houdalieh*

ABSTRACT

Saint Stephen (Stephanos) was a Hellenistic Jew whose family origins probably lie in the diaspora, from where many Jews traveled to visit or re-settle in Palestine. He lived in Jerusalem and was one of the original seven deacons of the church. He was stoned to death just outside the walls of Jerusalem and is considered the first martyr in Christianity. None of the ancient sources, including the Book of Acts, deal with his birthplace, childhood or family, and so it is very difficult to trace Stephen's personal story from birth to death and produce a clear and comprehensive biography. This study aims to present a brief account of the life and martyrdom of St. Stephen and to present a new suggestion for his burial place, based on the results of archaeological excavations carried out at two widely separated sites bearing very similar traditional names, Kafr Gamla: Beit Jimal and Khirbet et-Tireh.

Keywords: Saint Stephen, Kafr Gamla, Khirbet et-Tireh, Beit Jimal.

* The Institute of Archaeology, Al-Quds University, Palestine. Received on 7/7/2019 and accepted for publication on 2/12/2019.

المراجع العربية

الأحمد، سامي. (1979)؛ تاريخ فلسطين القديم. بغداد: مركز الدراسات الفلسطينية.

الأنبا شنودة الثالث.(2007)؛ *عمل الروح القدس في حياتي*. شبرا: مطابع كونكورد.

الاورشليمي، يسطس. (2010)؛ *المسيحية في الأراضي المقدسة*، الجزء الأول، الخمسة قرون الأولى. http://takfiknamati.tv/wp-content/uploads/

الدباغ، مصطفى. (1991)؛ *بلادنا فلسطين*. الجزء الثامن – القسم الثامن: في ديار بيت المقدس. كفر قرع: دار الهدى.

REFERENCES

Abel, F. M. (1919); Chronique. Une Chapelle Byzantine à Beit el-Jimal. *Revue Biblique* 28: 244–248.

Al-Houdalieh, S. (2014a); Vandalized, Rock-cut Burial Tombs of the Roman and Byzantine Periods: A Case Study from Saffa Village, Ramallah Province, Palestine. *Palestine Exploration Journal* 146(3). Pp: 224-240.

Al-Houdalieh, S. (2016); The Byzantine Eastern Church of Khirbet et-Tireh. *Archaeological Discovery Journal* 4 (1). Pp: 48-67.

Al-Houdalieh, S.(2014b); The Byzantine Church of Khirbet et-Tireh. *Journal of Eastern Mediterranean Archaeology and Heritage Studies* 2 (3). Pp: 188-208.

Basten, F. (1990); An Examination of the Seventh-Day Adventist International of Two Time Prophecies in the Book of Daniel- the 2300 Days of Daniel 8 and the 70 Weeks of Daniel 9. http://www.2300days.com/Assumption%2021.pdf, accessed 26 May, (2019).

Bovon, F.(2003); The Dossier on Stephen, the First Martyr. *Harvard Theological Review* 96 (3). Pp: 279-315.

Boyarin, D. (1999); *Dying for God: Martyrdom and the Making of Christianity and Judaism*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Boyarin, D. (2004); The Christian Invention of Judaism: The Theodosian Empire and the Rabbinic Refusal of Religion. *Representation* 85. Pp: 21-57.

Bradbury, S. (1996); Introduction to Severus of Minorca. Pp. 1-15, in Scott Bradbury (ed. and trans.), *Severus of Minorca: Letters of Conversion of Jews*. Oxford: Clarendon Press.

Braun, O. (1915); Ausgewählte Akten Persischer Märtyrer. Munich: Jos Koesel Buchhandlung.

Clark, E. (1982); Claims on the Bones of Saint Stephen: The Partisans of Melania and Eudocia. *Church History* 51 (2). Pp: 1411-156.

Conder, C.R., and H. H. Kitchener 1883. *The Survey of Western Palestine*. Memoirs. Vol. III: Judea. London: Adelphi.

Constitutions of the Holy Apostles (1886); *Ante-Nicene Fathers* Vol. 7. Grand Rapids: T & T Clark.

de Voragine, J. (1941); *The Golden Legend*. Vol. 1. Trans. Ryan Granger and Helmut Ripperger. London: Longmans, Green and Co.

Di Segni, L. and Gibson, Sh. (2007); Greek Inscriptions from Khirbet el-Jiljil and Beit Jimal and the Identification of Caphar Gamala. *Bulletin of the Anglo-Israel Archaeological Society* 25. Pp: 117-145.

Epistola Luciani ad Omnem Ecclesiam de Revelatione Corporis Stephani Martyris Primi et Aliorum. Pp: 807-818 in J.P. Migne (ed.), *Patrologia Latina*, vol. 41, Paris(1855).

Ewig, E. von. (1960); Die Kathedralpatrozinien im Römischen und im Fränkischen Gallien.

Historisches Jahrbuch 79. Pp: 1-61.
Fergnani, G. (1934); Identificazione di Cafargamala-Beitgemal (Beitgemal). Beitgemal: Studi Stefano.
Finkelstein, I. and Lederman, Z. (eds.) (1997); *Highlands of Many Cultures. The Southern Samaria Survey, the Sites*. Vol. 1. Jerusalem: Graphit (Graph-Chen) Press.
Gisler, M. (1917); Das Grab des Heiligen Stefan. *Das Heilige Land* 61. Pp: 15–21.
Gross, S. and G. Herman (2018); A Persian Anti-Martyr Act: The Death of Rabba bar Nahmani in Light of the Syriac Persian Martyr Acts. Pp: 221-242 in G. Herman and J. Rubenstein (eds.), *The Aggada of the Bavali and Its Cultural World*. Providence, RI: Brown University Press.
Harvey, R. (2009); *Rabban Gamaliel*. Second Edition. Cambridge: Cambridge Press.
Hoeck, A. (2016); Harvest – Herald – Hero: Stephen's Burial and the Church's Early Hermeneutics of Martyrdom. *Scripta Fulgentina Ano xxvi* – no. 51-52. Pp: 7-27.
Kalavrezou, I. (1997); Helping Hands for the Empire: Imperial Ceremonies and the Cult of Relics at the Byzantine Court, Pp: 53-79 in H. Maguire (ed.), *Byzantine Court Culture from 829 to 1204*. Washington, D. C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection.
Khachidze, L. (2016); Stephen, the First Martyr, and Georgian Christian Culture. *The Kartvelologist Journal of Georgian Studies* 25. Pp: 1-6.
Klein, H. (2006); Sacred Relics and Imperial Ceremonies at the Great Palace of Constantinople. *BYZAS* 5. Pp: 79-99.
Lagrange, M. J. (1904); Le Lieu du martyre de Saint Etienne. *Revue Biblique* 1:468-471.
Mallon, A. 1922. Le Sanctuaire Byzantin de Beit-Djemal. *Biblica* 3.Pp: 505–507.
Matthews, Sh. (2010); *Perfect Martyr: The Stoning of Stephen and the Construction of Christian Identity*. Oxford: Oxford Press.
Morrow, K. (2007); Ears and Eyes and Mouth and Heart… His Soul and His Senses: The Visual St. Stephen Narrative as the Essence of Ecclesiastical Authority. PhD dissertation, The Florida State University, College of Visual Arts, Theater and dDance.
Pagatti, B. (2002); *Ancient Christian Villages of Samaria*. Jerusalem. Franciscan Printing Press.
Paroschi, W. 1998. The Prophetic Significance of Stephen. *Journal of the Adventist Theological Society* 9 (1-2). Pp: 343—361.
Patrich, J. (2006); Early Christian Churches in the Holy Land. Pp: 351-395 in O. Limor and G. Stroumsa (eds.), *Christians and Christianity in the Holy land from the Origins to the Latin Kingdoms*. Turnhout: Brepols.
Puech, E. (2006); Un Mausolée de Saint Étienne à Khirbet Jiljil – Beit Gimal. *Revue Biblique* 113. Pp: 100–126.
Rosenfeld, B.Z. (1997); *Lod and Its Sages in the Period of the Mishnah and the Talmud, Jerusalem*. (in Hebrew).
Strus, A. (2001); Jiljil (Khirbet el-; Beit Jimal). Pp: 270–271 in A. Negev and S. Gibson (eds.), *Archaeological Encyclopedia of the Holy Land*. New York: Continuum.
Strus, A. (2003); *Khirbet Fattir – Bet Gemal. Two Ancient Jewish and Christian Sites in Israel*. Rome: Libreria Ateneo Salesiano.
Strus, A. and Gibson, Sh. (2005); New Excavations at Khirbet el-Jiljil (Bet Gemal) Near Beth Shemesh. *Bulletin of the Anglo-Israel Archaeological Society* 23. Pp: 29-89.
The Salesian Society. http://www.newadvent.org/cathen/13398b.htm. Accessed on 1 October (2019).
Trebilco, P. (2011); Why Did the Early Christians Call Themselves ἡ ἐκκλησία?. *New Testament Studies* 57. Pp: 440-460.
Vincent, L. H. (1926); A la Recherche de Caphargamala. *Revue Biblique* 35. Pp: 127–132.
Vincent, L. H., and Abel, F. M. (1922); *Jérusalem; Recherches de Topographie, d'archéologie et d'histoire*. Paris: Librairie Victor Lecoffe.
Walsh, M. (2007); The Re-Emergence of the Forty Martyrs of Sebaste in the Church of Saint

Peter and Paul, Famagusta, Northern Cyprus. *Journal of Cultural Heritage* 8. Pp: 81-86.

Wright, T. (1848); *Early Travels in Palestine Comprising the Narratives of Arculf, Willibald, Bernard, Sœwulf, Sigurd, Benjamin of Tudela, Sir John Maundeville, de la Brocquière, and Maundrell*. London: Henry Bohn

Wright, W. (1865-1866). An ancient Syrian Martyrology. *Journal of Sacred Literature NS* 8. Pp: 45-56: 423-432.

Yost, F. (1967); Studies in the Book of Acts, no. 1. *Sabbath School Lesson Quarterly, senior Division* 290 (4). Pp: 2-48.

Zissu, B. (2001); Rural Settlement in the Judean Hills and Foothills from the Late Second Temple Period to the Bar Kokhba Revolt (unpublished Ph.D. thesis The Hebrew University of Jerusalem (in Hebrew).